

الأمن في الجماعة

بقلم علي درويش

١٧ أبريل/نيسان ٢٠٠٦

ذات يومٍ حارٍّ من أيام الصيفِ، شَرَدَ كلبٌ جائعٌ عطشانٌ إلى حيننا، وكنا صغاراً نلعبُ "الغميضة". فرأه الأولادُ فراحوا من تلقاء أنفسهم ودون إيعازٍ من أحد، يطاردونه ويعذبونه ويضربونه بالحجارة والهلج، وهم خلفه يصرخون ويزعقون ويقرعون علبَ التنك ويولولون كالمجانيب والمجانين. فانخرطتُ في العصابة نركض كلنا خلف ذلك المخلوق الضعيف الحزين. وما أن وصلنا والكلب إلى آخر الحي والطريق المسدودة حتى استجمع الكلب قوةً غريبةً عجيبةً من قرارة في ذاته والتفت إلى الأولاد الذين ما برحوا يستهزئون به ويعنفونه ويوبخونه ويطبِقون عليه، وراح يعوي عواءً أليماً وينبح نباحاً مريراً، ثم همَّ يطاردهم في آخر محاولة له للخلاص من تلك الزمرة المجنونة، أو ربما الموت بشرف!

فإذا بالأولاد يهلعون وينقلبون على أعقابهم ويسرعون هاربين من ذلك المخلوق الضعيف. فركضت مع الراكضين وهولت مع المهولين وسعيت إلى منجاة من ذلك الكلب الشرس، حتى وصلنا إلى منعطف ومفترق في حيننا فرأيتُ، وكنت أصغر الأولاد سنًا، أن أذهب في اتجاه، واستمر الآخرون في الركض في اتجاه. وما هي برهة أو برهتان حتى رأيت الكلب المسعور قد انتحى منحاي وسعى مسعياً وكاد يعضني مستفرداً بي، فالتجأت خلف دراجة نارية كانت واقفة في زاوية تحت شرفة على ناصية المنعطف فوقف الكلب ينبح فيّ، فاستحضرت قوة لم تكن فيّ وصرخت في وجه ذلك الكلب اللئيم، فسكت الكلب فجأةً ونظر بعينه فيّ، كأنه يقول لي: "أنا أدرك ما أنت فيه يا ابن آدم الصغير وأعرف أنك لست ذلك الشرير، فقد كنتُ في موقفٍ مشابه قبل لحظات قليلة، ولكن ليس في الأمر حيلة، فالأمن في الجماعة، وأنت عندي يا ابن آدم الصغير كالشماعة". ثم تحول بوجهه وجسمه عني وانطلق يعدو هارباً من ذلك الحي المشؤوم والعصابة القاسية.



علي درويش

١٧ أبريل/نيسان ٢٠٠٦